



بقلم: أحمد بن علي الصرخي

فكر هذا الطبيب، وقال لنفسه لم لا أستفيد من هذه الحقيقة، ولكن ليس في تجبير العظام المكسورة، بل في كسر العظام... نعم كسر العظام ومن ثم جعلها تنمو بطريقة خاصة.. حسناً، ولكن ماذا بعد يا أليزاروف؟ يقول هذا الجراح العبقري إنني لا أكسر العظم فقط ليلتئم بعد ذلك، بل أكسره بطريقة خاصة - وعندما تبدأ خطوات الالتئام، أبدأ بالزيادة في طول الكسر ليزيد الفراغ الحاصل بين جهتي العظم ملميتراً واحداً في اليوم - باسمه، وصمم بطريقة خاصة للقيام بهذه المهمة - وبينما يزيد طول الكسر الحاصل، تزيد العظام من أليتها لسد هذه الفجوة الحاصلة باستمرار، هذا بالإضافة إلى أن كل الأنسجة المحيطة بالعظم تبدأ أيضاً بالزيادة.. الأوعية الدموية والأعصاب والعضلات حتى الجلد.. تخيل زيادة ملميتراً واحداً في اليوم، أي ٣ سم في الشهر، أي ٣٦ سم في السنة، يتوقف خلالها الطبيب عند الطول الذي يحتاجه ليعدل التشوه الحاصل.

لعله من المهم التركيز على بيان أن الفكرة الأساسية من هذه الجراحة المبتكرة ليس هو تطويل ذوي القامة القصيرة، فهذه خلقتهم التي يجب عليهم أن يتعايشوا معها، بل الفكرة أسمى من ذلك وأكبر، إذ هي لعلاج وتصحيح تشوهات العظام في بعض الحالات التي تسمح بذلك، والتي كان الطب سابقاً يقف أمامها مكتوف اليدين.

ومما يزيد من روعة هذه الجراحة أنها تمكن الجراح من تصحيح وتقويم الأطراف في أي اتجاه وذلك بسبب تصميمها الخاص، هذا بالإضافة إلى إمكانية السير على الرجل بعد مدة يسيرة رغم كونها مازالت مكسورة.

أسمعك - عزيز القارئ - وأنت تسألني قائلاً: وهل تجرى في بلادنا مثل هذه العمليات؟.. فأقول لك: نعم إنها تجرى في بلادنا، وقد استفاد منها الكثير ممن يحتاجونها بالفعل.

نعم مازال في جعبة الطب الكثير، ومازالت رحمة الله واسعة بعباده، فها هو باب جديد يفتح لمرضى لم يكونوا يحملون للأمل مكاناً في صدورهم، وليصدق قول الصادق الأمين: (إن لكل داء دواء، عرفه من عرفه، وجهله من جهله إلا السام).

أكثر، ولن أصيب بأي مرض في العظام أدى إلى اختلاف أطوال أطرافه - نتيجة بعض الأمراض الخلقية أو بعض الأمراض المكتسبة مثل الكسور أو التهابات العظام المزمنة والمتقيحة أو سرطان العظام الذي أدى لبتتر جزء من أحد الأطراف - يمكنه الآن أن يقومها، وأن يزيد من طولها لترجع كأختها، وذلك بمساعدة هذه الجراحة العبقرية.. أما كيف يتم ذلك؟.. وما هي فكرة هذه الجراحة المبتكرة؟.. وما مقدار الطول الذي من الممكن أن يكتسبه المصاب؟.. فهذا ما سنعرفه في السطور القادمة.

تقوم هذه الجراحة على حقيقة طبية معروفة، وهي أن العظم المكسور يحاول ذاتياً ترميم نفسه بنفسه عن طريق بناء مادة العظم الجديدة، بما يوفره له الجسم من لبنات البناء الضرورية. وما وظيفة تجبير العظام التي يقوم بها الأطباء إلا وسيلة لوضع العظم في اتجاهه السليم، والذي يؤهله للقيام بوظيفته بأفضل صورة ممكنة، ثم يتم بعدها تكون مادة العظم الجديدة اللازمة للالتئام ذاتياً مكان الكسر، دون الحاجة لأي تدخل طبي ما دام الجسم قوياً ولبنات البناء الأساسية متوفرة.

هل تريد أن تطول أكثر؟

أليزاروف جراح عظام روسي عاش في كيرجان وهي مدينة في سيبيريا الغربية، خلال فترة نهاية الحرب العالمية الثانية. في هذه المدينة رأى أليزاروف عشرات المصابين الذين شوهدت الحرب أطرافهم، وأفقدتهم القدرة على السير كغيرهم من البشر، تأثر هذا الطبيب بهذه المناظر، وبدأ يعمل تفكيره في سبيل مساعدتهم. وهنا اهتدى تفكيره إلى فكرة بسيطة، ولكنها عبقرية بالفعل - وهكذا هي العبقرية، محاولة الاستفادة من أبسط الأفكار والإمكانات للخروج بأفضل النتائج - ليخرج للبشرية فتحاً جديداً في علاج تشوهات العظام المختلفة.

نعم.. الآن يمكن للقصير أن يطول